عشاء الرب

(أ) بعد أن قبلنا الله في عائلته ، لم يعد ينظر إلينا كعبيد بل كأبناء . فهو يشبه نفسه بأب حنان يهتم بنا ، يعولنا ويمدنا بكل ما هو لخيرنا على مدى الحياة . ولا يكتفي بهذا بل يمنحنا عربوناً يضمن لنا جوده وإحسانه الذي لا يتوقف ، ذلك أنه أعطى الكنيسة من خلال الابن الوحيد فريضة أخرى ، وليمة روحية . في هذه الفريضة يعلن المسيح عن نفسه أنه الخبز الحي الذي به تتغذى نفوسنا لقبول الحياة الأبدية .

وبسبب أهمية هذا الفرض المقدس ، حاول الشيطان أن يحرم الكنيسة من فريضة ثمينة . لذلك نشر عليها الضباب والظلام منذ أمد طويل ليحجب نورها . كما أثار النزاع والجدل حولها ، ليصرف البسطاء عن شوقهم إلى الغذاء المقدس . وهو يحاول تنفيذ نفس المخطط في أيامنا هذه .

والعلامات تتمثل هنا بالطبع في الخبز والخمر . وهما يمثلان الغذاء غير المرئي الذي نقبله من جسد المسيح ودمه . إن الله بإعطائنا ميلاداً جديداً في المعمودية يدخلنا في شركة كنيسته ، ويجعلنا ملكاً له بالتبني . ويستمر في العمل كأب يعتني بنا ويمدنا بالغذاء الذي يحفظنا أحياء روحياً . فالمسيح هو الغذاء الوحيد لأنفسنا . ولذلك فإن أبانا السماوي يدعونا للالتقاء به ، لأننا عندما ننتعش بالشركة نكتسب بانتظام قوة جديدة إلى أن نصل إلى الخلود في السماء . هذا السر الخاص بالإتحاد غير المنظور للمسيح مع المؤمنين لا يمكن إدراكه بطريقة طبيعية. لذلك فإن الله يعلنه بوضوح في علاقات مرئية . نحن ندرك أن نفوسنا تطعم بالمسيح كما تتغذى الحياة الجسدية بالخبز والخمر تماماً . وبالتالي يمكننا أن ندرك الغرض من هذه البركة السرية . إنها تؤكد لنا أن جسد المسيح قد قدم مرة ذبيحة من اجلنا لكي نأكله الآن . وبواسطة الأكل نحس في داخل نفوسنا بكفاية هذه الذبيحة الوحيدة ، وندرك أيضاً أن دمه قد سكب مرة لأجلنا ليكون شرابنا الدائم . ذلك هو الهدف من وعد المسيح ، عندما قال : " هذا هو جسدي الذي

يبذل عنكم .. " (متى 26 : 26 ؛ مرقس 14 : 22 ؛ لوقا 22 : 19 ؛ 1كو 11 : 42) . لقد أمرنا الرب أن نأخذ ونأكل الجسد ، المقدم مرة من أجل خلاصنا . ولأننا نرى أننا قد صرنا شركاء هذا الجسد ، فإنه يمكننا أن نستنتج باطمئنان أن القوة التي لموته ستكون فعالة ومؤثرة فينا . إن العهد الذي كرسه مرة بدمه ، يتجدد ويستمر كتثبيت لإيماننا في كل مرة يقدم لنا دمه كشراب .

(ب) يستمد المؤمنون الأتقياء توكيداً عظيماً ، وفرحاً غامراً من هذه الفريضة ، كبرهان على أنهم جزء من جسد المسيح ، وبذا يكون كل شيء فيه ملكاً لهم . وبالتالي يمكن أن نطمئن أنفسنا بثقة أن فيه لنا الحياة الأبدية ، باعتبار أنه هو نفسه الوارث لها . وأن ملكوت السماوات – الذي دخله سابقاً من أجلنا – هو لنا . هذا الملكوت لا يمكن أن ينتزع منا لأنه لن ينتزع منه . ولا ننال دينونة عن الخطية لأن الرب رفعها عنا وحررنا من جرمها ، واضعاً إياها على نفسه . هذا هو الصنيع المبارك الذي عمله الرب معنا في جوده العجيب . وإذ أصبح مثلنا – ابن إنسان – جعلنا مثله ، أبناء الله . وبنزوله على الأرض أتاح لنا الصعود إلى السماء . لقد أخذ موتنا وأعطانا عدم موته ، واتخذ صورة ضعفنا ليجعلنا – بقوته– أقوياء . خضع لفقرنا لكي يعطينا غناه ، رفع عنا ثقل آثامنا وعدم برنا الذي أثقل كاهلنا ، وألبسنا رداء بره .

(ج) إن فريضة العشاء الرباني تحمل شهادة لكل هذه الأمور . وتعطينا إمكانية الفهم بأن هذه الأمور تعلن لنا بنفس التأكيد العظيم الذي يحدث لو أن المسيح كان حاضراً معنا بالجسد نراه ونلمسه . هنالك كلمات لا كذب فيها ولا خداع : خذوا ، كلوا ، اشربوا ، هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ، هذا هو دمي الذي يسفك لمغفرة الخطايا ، في أمره " خذوا " يوضح بجلاء أنه لنا ، وفي طلبه منا " كلوا " يوضح أنه يصير جزءاً منا . وفي قوله إن جسده يبذل ودمه يسفك يرينا أنه ضحى بهما لا لمنفعته الخاصة بل من أجل خلاصنا . لذلك فهما يمثلان بالخبز والخمر ، إشارة إلى أن المقصود بهما هو تغذية وإنعاش حياتنا الروحية . فكما أن الخبز يسند ويغذي أجسادنا ، هكذا فإن جسد المسيح هو الغذاء الوحيد الذي يحفظ أنفسنا حية . وعندما نرى الخمر تقدم كرمز للدم يجب أن نقارن فائدتها للجسد بما يمنحه دم المسيح روحياً ، فهو ينعش ويقوي ويبهج . من ثم فإن الخبز المكسور والخمر المتدفق يصوران بدقة ما يصل لنا بواسطة جسد المسيح ودمه .

(د) إن الغرض الرئيسي من الفريضة هو ختم وتثبيت وعده ، الذي فيه يشهد أن جسده مأكل لنا ودمه مشرب لنا ، مغذياً إيانا إلى حياة أبدية . وحيث أنه خبز الحياة ، وكل من يأكل منه يحيا إلى الأبد ، لذلك فإن الفريضة تأخذنا إلى صليب المسيح ، حيث تم تنفيذ هذا الوعد تنفيذاً كاملاً . لا يمكننا أن نأكل المسيح بطريقة صحيحة ، إن كنا لا نرى قوة وفاعلية موته . عندما قال السيد عن نفسه إنه خبز الحياة ، قصد أن يشير بذلك إلى أنه يعطي لنا بصفته شريكاً لنا في بشريتنا المائتة ليجعلنا شركاءً له في خلوده . وعندما قدم نفسه ذبيحة كفارية لأجلنا أخذ لعنتنا على نفسه ، ليحمينا ويسترنا ببركته . بموته أبطل الموت ، وبقيامته رفع جسدنا القابل للفساد إلى المجد وعدم الفساد .

(هـ) والمحصلة النهائية هي أن جميع البركات التي ذكرناها ، ينبغي أن تصبح لنا حقاً وفعلاً . لقد تم إنجاز هذا من خلال الإنجيل ، وبتأكيد أكثر بواسطة عشاء الرب ، حيث يقدم لنا نفسه بكل بركاته ونحن نقبله بالإيمان . إن الفريضة بالطبع، لا تجعل المسيح يصبح خبز الحياة للمرة الأولى ، بل تذكرنا أنه يمكننا دائماً أن نتغذى عليه ، وتعطينا الشوق لكي نفعل هذا . وهي تؤكد لنا أن كل ما قاساه المسيح وتألم به كان لكي يحيينا ، وأن هذا الإحياء أبدي . لم يكن ممكناً أن يصبح المسيح لنا خبز الحياة ، مالم يكن قد ولد ، ومات ،وقام ، ومالم تكن قيامته أبدية . ويعبر المسيح عن هذه الحقيقة بكلماته الخاصة فيقول : " الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي ، الذي أبذله من اجل حياة العالم " (يو 6 : 51) .

وثمة غلطتان يجب تجنبهما هنا : إن علينا من جهة أن نتجنب التقليل من أهمية العلامات بفصلها عن معناها ومغزاها ، وعلينا من جهة أخرى أن نتجنب المبالغة في تقدير قيمة هذه العلامات ، الأمر الذي يمكن أن يضفي ظلاماً على السر الحقيقي ويعتمه . يوجد بعض عدم الاتفاق حول الطريقة التي بها نشترك في المسيح . يقول البعض بأن أكل جسد المسيح وشرب دمه ليس شيئاً أكثر من الإيمان بالمسيح ، بينما المسيح نفسه يذهب في ذلك إلى درجة أبعد حيث يقول : إنه ونحن نأكل ونشرب من الخبز والخمر ، نشترك فيه حقيقة . ليس الأمر ببساطة مجرد المعرفة ، فليس منظر الخبز هو الذي يغذي بل الأكل منه . وبنفس الطريقة ينبغي للنفس أن تشترك في المسيح اشتراكاً فعلياً ، لكي يمكنها – بقوة المسيح – أن

تنمو روحياً . وبينما يرى أولئك الذين أشرنا إليهم أن " الأكل " لا يعني أكثر من مجرد " الإيمان " ، نعتقد نحن أننا بالإيمان نأكل جسد المسيح ، وأن الأكل هو نتيجة أو ثمرة للإيمان . وهكذا نلاحظ أنهم يقولون : الأكل هو الإيمان ، بينما نقول إن الأكل نتيجة للإيمان . يبدو الاختلاف وكأنه طفيف من الناحية اللفظية ، لكنه اختلاف كبير فيما يتعلق بالحق . فرغم أن الرسول يعلم بأن المسيح يسكن في قلوبنا بالإيمان (أف 3 : 17) إلا أنه لا يمكن اعتبار أن هذه السكنى هي الإيمان نفسه . وفي رأينا أن هذا التعليم يوضح التأثير العجيب للإيمان ، إذ أن المسيح يحيا في المؤمنين بفضل الإيمان . وبنفس الطريقة اختار المسيح أن يسمى نفسه " خبز الحياة " (يو 6 : 51) ليس فقط لكي يعلمنا أن الخلاص مدخر في الإيمان بموته وقيامته ، لكن لكي تنتقل أيضاً حياته إلينا ، بفعل الشركة الحقيقية معه ، وتصبح لنا ، مثلما يعطي الخبز قوة الجسد .

(و) من ثم فإن ما ينبغي أن نقوله في الختام هو أن جسد المسيح ودمه يغذيان نفوسنا كما يغذي الخبز والخمر حياتنا الجسدية . لن يكون في العلامات أو الرموز أية قوة أو فاعلية ما لم تجد نفوسنا غذاءها في المسيح . وهذا لا يحدث إلا لكونه قد صار واحداً معنا ، ينعشنا بالأكل من جسده والشرب من دمه . ورغم أنه يبدو شيئاً لا يصدق أن جسد المسيح الذي أزيل مادياً منذ أمد طويل يصبح غذاء لنا ، إلا أنه ينبغي أن نتذكر القوة الداخلية الهائلة للروح القدس ، وكيف أنه من الغباء أن تقاس هذه القوة الهائلة بجهودنا الضعيفة . فالذي لا يمكن أن تستوعبه أذهاننا ، يجب أن يحدثه الإيمان ، ذلك أن الروح القدس يوحد الأمور المنفصلة مهما تباعد المدى . إن المسيح بهذه الشركة المقدسة للجسد والدم ينقل حياته إلى داخلنا ، تماماً كما لو أنها تدخل إلى العظام والنخاع . إنه يختم حقه في العشاء ليس بعلامة عديمة الجدوى ، بل بإظهار قوة الروح القدس التي بها يحقق ما قد وعد به . ما يعبر عنه الخبز والخمر يمثل أو يصور ويقدم لكل مشترك ، ولا يقبله ويتناوله إلا مؤمنون حقيقيون يقبلونه بإيمان صادق وشكر قلبي . لذلك قال الرسول : " كأس البركة التي نباركها ، أليست هي شركة دم المسيح ؟ " (1كو 10 : 16) . وليس هناك سبب يدعو إلى القول بأن هذا التعبير رمزي ، معطين العلامة اسم الشيء الذي تعبر عنه . نحن نوافق بالطبع على أن الخبز علامة وليس هو الحقيقية ، لكننا بقولنا هذا نستنتج بحق ، من إظهار العلامة ، أن الشيء نفسه يظهر ، إن كنا لا نتهم الرب بالخداع فلا يمكن أن نقول إنه يقدم مجرد علامة لا جدوى منها . وإذا كان الرب ، بكسر الخبز ، يصور حقيقة

شركة جسده ، فلا يكون هناك شك في أنه يمنح الحقيقة أيضاً . ينبغي أن نتذكر دائماً أن الحق المختص بالشيء المعنى أو المعبر عنه هو أيضاً حاضر . يضع الرب في أيدينا رمز جسده ليؤكد لنا بهذا الرمز أننا بالحقيقة نشترك فيه . وهذا يؤكد لنا بنفس الدرجة أن العلامة المنظورة تعطى كختم لهبة روحية أكيدة .

(ز) آمنت الكنيسة دائماً ، وهكذا نؤمن نحن ، بأن الفريضة المقدسة الخاصة بعشاء الرب تتكون من أمرين : العلامات المادية ، والحق الروحي . هنالك إذن الأمر المعني أو المقصود ، وهنالك الموضوع الذي يعتمد عليه ، وهناك التأثير أو الفاعلية التي لكليهما :

والأمر المعني أو المقصود يتكون من المواعيد المتضمنة في العلامة ، ونقصد بالموضوع المسيح بموته وقيامته .

أما الفاعلية فنقصد بها الفداء والتبرير والتقديس والحياة الأبدية وكل البركات والفوائد التي يمنحها المسيح لنا .

عندما نقول إن المسيح يقبل بالإيمان فنحن لا نعني أن قبوله يقتصر على العقل والتصور فحسب ، بل يمتد إلى الشركة معه . تقدمه المواعيد لنا ، لا لكي نتوقف عند مجرد النظر إليه أو معرفته ، بل لكي نتمتع أيضاً بشركة حقيقة معه ، ثم يلي هذه الشركة البركات الأخرى .. فعشاء الرب إذن يعلن لنا أولاً إمكانة أن نصير جسداً واحداً معه ، ويعلن ثانياً أن نختبر هذا عملياً ، من حيث إننا نشترك في جميع بركاته .

(ح) أما أولئك الذين يعتقدون أن جسد المسيح لا يكون حاضراً إلا إذا كان في الخبز ، فهم على درجة كبيرة من الخطأ . لأنهم لا يدخلون في حسابهم العمل السري للروح القدس الذي يعمل لكي يتحد المسيح نفسه بنا . إنهم يرون أن المسيح لا يبدو حاضراً ما لم ينزل إلينا ، رغم أننا يمكننا أن نأتي إلى محضره عندما يرفعنا إلى نفسه . فنحن نعتقد أن من الخطأ أن ننزله من السماء ، بينما هم يضعونه في الخبز . نحن نتحدث عن سر سماوي ، وليس ضرورياً أن ننزل -المسيح إلى الأرض لكي يتحد بنا .

(ط) لا نجد ما يمنع من التسليم بأن هذه الفريضة أسمى بكثير من أن تستوعبه عقولنا أو تعبر عنها كلماتنا . لكننا نستطيع أن نستند بأمان على الحق الإلهي ، ونتقبله دون جدال . يعلن الرب أن جسده ودمه غذاء وشراب لنفوسنا ، فنسلم أنفسنا له لكي نطعم بهذا الغذاء وننتعش بهذا الشراب ، تحت علامة الخبز والخمر ولا نشك أنه سيحقق فينا فاعلية جسده ودم . إن الفريضة تعرض وتقدم في قوة عظيمة وتأثير فعال ، حتى إنها بالإضافة التي ما تعطيه لأذهاننا من تأكيد مطلق للحياة الأبدية ، فهي أيضاً تضمن خلود أجسادنا المحياة بواسطة جسده الخالد .

يُعلم البعض بأن جسد المسيح ينفذ إلى نفوسنا أو يتخللها ويمتزج بها ، لكن ذلك يتنافى مع تعليم الكتاب المقدس . يكفينا أن المسيح الوسيط الإلهي الحي يحي أنفسنا ويرسخ فينا بره وقداسته هذا هو قياس الإيمان الذي يوصينا به بولس لامتحان كل تفسير للكتاب المقدس (رومية 12 : 3) . كل ما يتعارض مع هذا الحق الجلي ، ليس من الإيمان